الاستلزامُ التّخاطبيُّ وإمكاناتهُ الحجاجيَّةُ في الأجوبةِ المسكتةِ

The discursive imperative and its argumentative potential in palliative answers

ط. د. عبد السلام لوصيف♥

د. عبد الرحمن بلحنيش♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال:DOI 10.33705/0114-027-003-003 2025

تاريخ الاستلام:03-08-2023-تاريخ القبـول:31-07-2024-تاريخ النّشر: 15-09-2025

ملخّص: تعدّ الأجوبة المسكتة فنّ أدبيّ ماتع، ويتشكّل هذا الخطاب من استراتيجيّات تهدف إلى إقناع المُخَاطَبِ والتّأثير فيه عن طريق الحجج، ونركّز على آلية تداوليّة لها دور في فهم القاصد؛ موسومة بالاستلزام التّخاطبيّ، وما يتّصل بها من قوانين تسهم في توضيح المعنى وقوّة الحجّة، وسنكشف في دراستنا عن هذه الآليّة وعلاقتها بالحجاج انطلاقا من نماذج في كتب التّراث العربيّ التي تضمّنت الجواب المسكت.

كلمات مفتاحية: الاستلزام التخاطبي؛ الحجاج؛ الإقناع؛ الأجوبة المسكتة.

♥المركز الجامعي عبد مرسلي تيبازة، الجزائر، البريد الإلكتروني: loucif.abdeslem@cu-tipaza.dz (المؤلّف المرسل).

♥المركز الجامعي عبد الله مرسلي تيبازة، الجزائر، البريد الإلكتروني: belhenniche.abderrahmane@cu-tipaza.dz

Abstract: Silencing answers are considered a literal fun art; this speech is formed out of a certain strategy that seeks to convince the recipient and effecting on him in an argumentative way. Which we focus on a pragmatic mechanism; that has role in understanding the purposes; marked by discursive implications, and related laws contribute to clarifying the meaning and strengthening the arguments, we will cover in this study that mechanism, and its relation with argument, based on sample form the Arabic heritage that included the silencing answers.

Keywords: Conversational imperative, Arguments, Persuasion, Silencing answers.

1. مقدّمة: تشكّلُ التَّداوليّةُ ميداناً خصباً من ميادينِ المعرفةِ الإنسانيّةِ إذْ يُعدُّ مدخلاً متداخل الاختصاصات؛ بخاصّة تلك المباحث المتعلّقة بدراسةِ اللُّغةِ ومن المفاهيم الإجرائيّة التي تتأسّسُ عليها؛ نجد ظاهرة الاستلزام التّخاطبيّ الذي يُعدُّ مبحثاً هامًّا من مباحثها؛ بحيث يرومُ أساسًا إلى تجليّة المقاصد وتوضيح معنى الخطاب أثناء التّخاطب، ولا يتحقّق ذلك إلاّ من خلال مراعاة المبادئ التي يقوم عليها الاستلزام التّخاطبيّ، وقد استحدث هذا المفهوم اللّسانيّ **بول غرايس** الذي ركّز على أنَّ اللّغة أثناء استعمالها تحمل معانٍ صريحة، وأخرى ضمنيّة لا تُفهم إلاّ حين إدراجها في سياقها، والغاية المنشودة من وراء هذا تحصيل الفهم في ذهن المُخَاطَبِ.

فليس بخافٍ عن الدّارسين أنَّ العديد من علماء البلاغة العربيّة القدامى يتقدّمهم **عبد القاهر الجرجانيّ** قد وضعوا للبلاغة ثلاثة علوم تنطوي ضمنها: (علم البيان، البديع، المعانيّ) ثمَّ إنّهم اهتموا ببلاغة الخطاب، وبناء حججه ثمّة إخراجه في ثوب ماتع؛ عن طريقِ دراستهم للمعنى ومعنى المعنى وعلاقتهما بالسّياق، وأيضا مراعاة المُخَاطِبِ لحال السّامعين، وتجدر الإشارة أنّ المحدثين العرب قد ساروا على درب أسلافهم في الدّرس البلاغيّ الجديد، وممّا سبق

سنحاول الكشف عن الجوانب الأساسيّة المتعلّقة بظاهرة الاستلزام التّخاطبيّ وعلاقة هذا الأخير بالحجاج على مستوى الأجوبة المسكتة، ويتمظهر هذا في **(الإشكاليّة)** المتمثّلة في التّساؤلات الآتيّة:

ـ كيف يرتبط الاستلزام التّخاطبيّ مع الحجاج؟ وكيف يسهم في زيادة فاعليّة القوّة الحجاجيّة؟

وأقمنا بحثنا على مجموعة من **(الفرضيّات)** نذكرها كما يلي:

ـ إذا نظرنا إلى الخطاب ككلّ متكامل، فإنَّ بلاغته تهدف إلى الإقناع والإمتاع، وهذا لا يتمّ إلاّ بتظافر عدّة فروع، فالاستلزام التّخاطبيّ يقودنا إلى نظريّة الحجاج في صورة القصديّة الحجاجيّة للخطاب، والذي يتشارك فيه المخَاطِبُ والمخَاطَبُ، ويُفضي بنا إلى تحقيق الأهداف الحجاجيّة التي أُقِيمَ عليها الخطاب؛

ـ تقوم الأجوبة المسكتة على مجموعة من الآليّات التّداوليّة؛ تُنتَجُ من خلالها معانٍ صريحةٍ وأخرى ضمنيّة، والوصول إلى فهمها لا يتأتّى إلاّ بتشغيل منظومة الكفاءة الذّهنيّة، كما نرى بأنّ الاستلزام التّخاطبيّ يكون بناؤه وفقا لاستراتيجيّة منطقيّة وسيّاقيّة؛

ـ الأجوبة المُسكتة؛ ذات فعاليّة لغويّة تحمل دلالات منطقيّة ذات بعدٍ إقناعيٍّ، ويرومُ فيها المُخاطِبُ إلى تثبيت بعض الحقائق الواقعيّة في ذهن المتلقّيّ من خلال التّركيز على التّوجيه الدّلاليّ المحكم، وتقويته بالحجج النّافذة، ومراعاة ذلك لمقام وحال السّامعين حتّى تُؤتي أُكُلَها.

كما **يهدفُ** بحثُنا إلى:

ـ البحث عن المبادئ التي يتأسّس عليها الاستلزام التّخاطبيّ، محاولين الرّبط بينه وبين القصديّة الحجاجيّة التي تظهر في تلك النّتائج الضّمنيَّة؛

-الكشف عن اشتغال الاستلزام التّخاطبيّ في ذهن المتكلّم، والمتلقّيّ والوقوف على مدى التّأثير والتّأثر بين قُطبي الخطاب؛

-تبيان دور الاستلزام التّخاطبيّ في تّمظهر القوّة الحجاجيّة للأجوبةِ المُسكتةِ من خلال ألفاظه المشبعة بالدّلالات التي ترتبط بالفهم عن طريق تسيِّقها ووضعها في مقامها.

وسلكنا في دراستنا **(المنهج الوصفيّ التّحليليّ، والمنهج التّداوليّ)**.

بحيث قمنا بمعالجة الاستلزام التّخاطبيّ كآليّة إجرائيّة متعلّقة بالتّداوليّة والتّعريج على النّظريّة الحجاجيّة، وتوسّمنا في المنهجِ الوصفيِّ التّحليليِّ السّبيل الأمثل للإلمام بهذه المباحث وحدودها، والذي مكّننا من البلوغ لتحديد العلاقة القائمة بين الاستلزام التّخاطبيّ والحجاج، والمنهج التّداوليّ قد استعملناه في الجانب التّطبيقيّ، والذي هممنا فيه بمعالجة نماذج من الأجوبة المسكتة؛ وفقا للآليّات التّداوليّة.

1-الاستلزام التّخاطبيّ والحجاج أيّ علاقة؟

تناولنا في هذا المبحث مطلبين متمثّلين في تمظهر الاستلزام التّخاطبيّ والحجاج، وفيه قدّمنا مفهوم هذه الآليّة التّداولية عند الغرب والعرب، ثمَّ تناولنا أهمَّ المبادئ التي تقوم عليها، وتطرقنا بعدها في المطلب الثّانيّ إلى الحجاج في اللّغة؛ من حيث ماهيته، وعنصر التّوجيه الحجاجيّ، لنصل إلى علاقة الأخيرِ بالاستلزام التّخاطبيِّ، والذي يظهر في مقاصد متعلّقة بدلالات معيّنة جاء ليسقطها في نفس المتلقّيّ.

1.1. ماهيّة الاستلزام التّخاطبيّ: ممّا لا شكَّ فيه أنَّ الثّقافات تتواصل فيما بينها، إذْ يحصلُ التّأثُّرُ والتّأثيرِ ولعلَّ الدّراسات اللّغويّة ليست بمعزل عن هذهِ الظّاهرة الفكريّة، فمن المؤكّد أنَّ اللّغات الطّبيعيّة تلتقي في عدّة خصائص بنائيّة ومعنويّة وكذا تواصليّة، لكن يبقى هناك اختلاف يميّز كّل واحدة عن

الأخرى؛ من منطلق الأصول والجذور فإذا رأينا تلك الآليّة التّداوليّة المسماة بالاستلزام التّخاطبيّ؛ قد كان لها حضور في ثقافتنا، ولو باصطلاح غير الذي عرف عند الغرب، فسنحاول التَّطرُّقَ إلى هذه العناصر بالتّفصيل كما يلي:

1.1.1. الاستلزام التّخاطبيّ في الثّقافة الغربيّة: يشكّل هذا المفهوم مبحثا هامّا من مباحث التّداوليّة، وهذه الأخيرة تسعى إلى تتبّع المعنى، أو بالأحرى دراسة اللّغة أثناء الاستعمال، ولعلّ آليّة الاستلزام التّخاطبيّ لها أهميّة بالغة في توضيح قصديّة الكلام أو الخطاب؛ لذلك اهتمّ بها الباحثون في مجال الدّراسات اللّغويّة، فغرايس قد "أعطى المتكلِّمينَ ومقاصدهم دورًا رئيسًا في فهم المعنى" (صلاح، 2007، ص9)، ومردُّ ذلك أنَّ المُخاطِبَ بيدهِ العصمة على الرّسالة التي يودُّ تبليغها، ومنه تأتي المباني والمعاني مسخّرة بقصدٍ منه لتستهدف ذهن المتلقّيَ، ولعلَّ مفهوم الاستلزام التّخاطبيّ أثاره **غرايس**؛ عندما نشر مقالاً سنة 1957م في الدّلالة، وألقى أيضا محاضرات في موضوع "فلسفة وليام جيمس" في جامعة هارفرد عام 1967م كما دأبَ على وصفِ العمليَّاتِ الذِّهنيَّةِ اللاَّزمةِ لفهمِ الملفوظاتِ والقيامِ بتأويلها في مقال مشهور وموسومٍ ب(**logic and conversation**)؛ حيث جاء في متنهِ أنَّ المتخاطبينَ عندما يتحاورونَ فإنَّهم ضمنًا يقبلونَ بجملةٍ منَ القواعدِ والمواضعاتِ، والأصلُ أنَّها قواعد تحكم عمليّات التَّواصلِ، وتقوم بتوجيهه نحو نهايتهِ الإيجابيَّةِ مرورًا بسيرورةٍ؛ تتمثَّلُ في الاستلزاماتِ والاستنتاجاتِ والتَّخميناتِ والافتراضاتِ المُسبقةِ الخفيَّةِ وانطلاقًا منْ هذا الأساسِ، فإنَّ تأويلَ الملفوظاتِ مرتبطٌ بثلاثةِ عواملٍ: معنى الجملةِ والسِّيَّاقِ بنوعيه (اللِّسانيُّ وغير اللِّسانيِّ)، زيادةً على مبدأِ التَّعاونِ (ختام 2016، ص99).

ولاَ مناصَ منَ القولِ أنَّ أيّ محادثة تجري بينَ متخاطبينِ؛ يكونُ فيها الضَّامن الأساسيّ لبلوغ الفهمِ والإفهام هذه الثُّلاثيَّة التي سنَّها غرايس، ثمَّ إنَّ

إحدى نتائج حكم المحادثة طقوس التَّفاعلِ الرّئيسة؛ تتمثَّلُ في وضع مفهوم الضِّمنيِّ موضعَ بداهة، وفي الوقتِ نفسهِ يشملُ مفهومي "غير الصَّريح" و"الاستلزام" بصورة أوضح (الاستلزام (implicature) في الفلسفةِ المنطقيَّةِ) والواقع يثبت أنَّ اللُّغةَ العاديَّة تشتغل في الأساسِ على حِكم المحادثة؛ بحيث إنَّها تقوم على تقديم القدر الضَّروريِّ منَ المعلومات، غير أنَّ ذلك يتمُّ بدون زيادة. إنَّ المُخاطَبَ الشَّريكَ في عمليَّة التَّلفُّظِ بالخطابِ يُنتِجُ دلالةً بتصرُّفهِ في الاستدلالاتِ السّياقيِّةِ والمنطقيَّة والاجتماعيَّةِ، وأيضا اللِّسانيَّةِ والثَّقافيَّةِ. الخ، كما أنَّ مبدأَ التَّعاونِ حكمة مهمّة؛ يعدُّ احترامها في المحادثة ضروريًّا للعمليّةِ (فيليب بلانشيه، 2007، ص144)، ويتّضحُ لنا أنَّ بعض الأُطرِ والعناصرِ الخارجة عن بنيَّةِ الخطابِ لها دور في إنشاء دلالاتٍ، وتختلف من متلفِّظٍ لآخر بحسبِ المداركِ والمستوياتِ، وتجدرُ الإشارة أنَّ هذا المنظور حول ماهيّة الاستلزام التّخاطبيّ كما جاء في الدِّراسات الغربيّة، ببساطة لأنَّ المفهوم قد ظهر عندهم.

1.1. 2. الاستلزام التَّخاطبيُّ في الثَّقافةِ العربيَّةِ: إنَّ الفكر الإنسانيّ يتوافق في بعض القضايا والمفاهيم التي تخصُّ العلوم المعرفيَّة؛ غير أنَّ الاختلاف يقع في التَّسميَّاتِ والمصطلحات، ثمَّ إنَّ العرب كانت لهم إشارات واضحة حول مفهوم الاستلزام، ويظهر ذلك عندما اهتموا بالمعنى والخطاب وتتبُّعِ مقاصدهِ "ولقد ضربتْ ظاهرة الاستلزام الحواريّ بجذور متينة في التُّراث اللُّغويّ العربيّ حيث تجلَّتْ هذه الظّاهرة في المدوّنات النّحويَّة والأُصوليّة والبلاغيّة، ولعلَّ سيبويه (ت 180هـ) منْ أبرز النُّحاةِ التي تجلّتْ هذه الظّاهرة عندهم" (عزّ الدّين, عزيز، 2021، ص58)، وتظهرُ أهم مصادر التَّفكيرِ التَّداوليّ اللّغويّ عند العربِ في عدَّةِ علومٍ أهمُّها: البلاغة والنّحو والنّقد والخطابة بالإضافة إلى الجهد الذي قدّمه الأصوليون الذين يمثّلون إلى جانب علماء البلاغةِ اتّجاهًا

فريدًا في التُّراثِ العربيّ، يكمن دوره في الرّبط بين الخصائص الصّوريّة للموضوع وخصائصه التّداوليّة (خليفة، 2009 ص140)، ويتّضح لنا أنَّ المفاهيم التّداوليّة كانت تتمظهر بجلاء في فروع معرفيّة معيّنة في الدّرس العربي القديم في صورة النّحو، والبلاغة، والخطابة زيادة على ذلك في أصول الدّين والنّقد، ولعلّ أبرز من عالج هذه القضايا التّداوليّة من العرب القدامى؛ نجد عبد القاهر الجرجانيّ (ت471هـ)، "وتقومُ نظريّة النّظم عند الجرجانيّ على أساس أنَّ قواعدَ النّحو تربطُ بين بنيتين اثنتين: بنية تداوليّة تتضمّن الغرض من الكلامِ، وبنية تركيبيّة لفظيّة" (أحمد 2010، ص41) فنلاحظ حضور عناصر تداوليّة في متن حديثه عنْ نظريّة نظم الكلِمِ، وفي السّياقِ ذاته يقول: "وجملةُ الأمرِ، أنَّ (الخبرَ) وجميعَ الكلامِ معانٍ يُنشئُها الإنسانُ في نفسه ويُصَرِّفُها في فكرِهِ، ويُناجِي بها قلبه، ويُراجعُ فيها عقله، وتُوصفُ بأنَّها مقاصدٌ وأغراضٌ، وأعظمها شأنًا (الخبرُ)" (الجرجاني 1992، ص528)، فالمقاصدُ والأغراضُ مكامنٌ يختفي وراءها المعنى والتّداوليّة تروم لدراسته والكشف عنه بين المتخاطبين أثناء عمليّة التّلفظِ وتجدرُ الإشارةُ بأنَّ العرب قد تناولوا بالدِّراسة الدّلالات التَّضمُّنيَّةِ والالتزاميّة التي تحدّثَ عنهَا اللّسانيون والتّداوليون الغربيين، وأيضًا الدّلالات التي تحتوي على الافتراض والإضمار والمتفرِّعةِ عمّا عُرِفَ عند علماء العرب بدلالة المُطابقة التي عُرفتْ عند علماء الغرب بالدّلالةِ (المطروحة) (سويرتي، 2000 ص29-50)، والمعنى أنَّ هناك اهتمام من الباحثين في كلا الثقافتين بالدلالة والمعنى وإنْ اختلفت المصطلحات، وإذا ذهبنا إلى علماء الأُصول عند العرب، فنلمس فيهم أيضا الاهتمام بالمعنى والمقاصد؛ بخاصّة في تفسيرهم للنّصوص الشّرعيّة منَ الكتاب والسُّنَّة، فلقد شُدَّ انتباه الأصوليينَ إلى ظاهرةِ الاستلزامِ الحواريِّ، وقد تميّزتْ دراستهم بالعمقِ والدِّقةِ والشُّموليَّةِ، لأنّهم رامُوا الوصولَ إلى مقاصدِ المُتكلِّمِ – الله عزَّ وجلَّ –

في خطابهِ للمتلقِّينَ بغية الوصولِ إلى التَّفسيرِ الصَّحيحِ والقويمِ أو الحُكمِ الشَّرعيِّ (القبالي، 2020، ص438–460) فعندما كان التّعامل مع كلام الله من قبل العلماء؛ أعطى بحثهم عن المقاصد نتائج طيّبة أثرت البحث اللّغويّ في عدّة مفاهيم أبرزها ما نحن بصدد دراستهِ ولعلّ أبرز منْ برعَ في هذا الميدان ألا وهو السّكاكيّ صاحب كتاب مفتاح العلوم، ويتميّز السّكاكـيّ عنْ ما سواه في وصف ظاهرة الاستلزامِ الحواريِّ، فهو يهدفُ إلى التّدقيق في مناقشة المسائلِ وتقديمها من ناحيَّةٍ وتحقيقِ الشّموليَّةِ منْ ناحيَّةٍ ثانيّة، فقدْ تعدّى الملاحظةَ الصِّرفةَ إلى التّحليلِ الذي يسهم في ضبط علاقة المعنى الصّريـح بالمعنى المُستلزم على المستوى المقاميِّ، وفي ذلك يتمُّ وصفَ آليّةِ الانتقالِ منَ الأوَّلِ إلى الثّانيّ بواسطةِ وضع قواعد استلزاميّة واضحة (عز الدّين، 2020 ص26–30)، وهذا تجسيد لعمليّة دراسة اللّغة في الاستعمال، وتفسير المعنى الصّريح والضّمني بواسطة آليّة السِّياق والمقام وهي مفاهيم قد كان للعرب فيها قصب السّبق من المحدثين.

3.1.1. مبادئ الاستلزام التّخاطبـيّ: لعلَّ هذه الآليّة التّداوليّة نتاج الدّراسات التي قامتْ على مستوى اللّغة بخاصّة في علم الدّلالة "وتعتمد نظريّة غرايس في الاقتضاء على النّظر إلى استعمال اللّغة بوصفه ضربًا من الفاعليّة العقليّة (rational activity) والتّعاونيّة (cooperative) والتي تروم تحقيق هدف الاتّصال، ولكي ينجح هذا الاتّصال لا بدّ من أنْ تتوافر له درجة معيّنة منَ التّعاون والتّقارب في الأغراض بين المتخاطبين، ويتجلّى ذلك في مبدأ عام أطلق عليه غرايس اسم (مبدأ التّعاون (the cooperative principle) (صلاح إسماعيل، 2005 ص87) ويتضح لنا أنَّ نجاح عمليّة الاتّصال والتّبليغ لا بدّ له من ثلاثيّة مهمّة وهي كالآتي: التّفاعل العقليّ مع الملفوظ وتقارب في الأغراض بين قطبي الخطاب وأيضا احترام مبدأ التّعاون بينهما

ولقد طرح صاحب هذا المبدأ صيغة له ومفادها "ليكن انتهاضك للتّخاطب على الوجه الذي يقتضيه الغرض منه" (طه 1998 ص238) ولعلّ الهدف من التّخاطب هو من يبرّر الغايّة إلى ذلك، والكلام من دون غرض وقصد سيغدو لغوًا لا فائدة تُرجى منه، ثمَّ إنَّ غرايس بناءً على مبدأ التّعاون فرّعَ عنه قواعد تخاطبيّة قسّمها إلى أربعة أقسام؛ بحيث أنَّ كلّ قسم تنضوي تحته مقولة أو أكثر وهي مرتّبة كالآتي: الكمُّ والكيف، والإضافة (العلاقة) والجهة.

1. **قاعدتا كمِّ الخبر**، وتتمثّلُ في:

أ ـ فلتكن إفادتك المخاطَب على قدر حاجته.

ب ـ لا تجعل إفادتك تتعدّى القدر المطلوب.

2. **قاعدتا كيف الخبر**، ويتمثّلان في:

أ ـ لا تقل ما تعلم كذبه.

ب ـ لا تقل ما ليست لك عليه بيّنة.

3. **قاعدة علاقة الخبر بمقتضى الحال**، وهي:

ـ ليكن مقالكَ يتناسب مع مقامكَ.

4. **قواعد جهة الخبر**، وهي:

أ ـ ابتعد عن الالتباس.

ب ـ ابتعد عن الإجمال.

ج ـ أوجز في كلامك ولا تطنب.

د ـ اجعل كلامكَ مرتّبا. (طه، 1998، ص238).

وهي قواعد معياريّة يتمُّ على أساسها نجاح أيّ عمليّة تخاطبيّة، "وتحصل ظاهرة الاستلزام الحواريّ، إذا تمَّ خرق إحدى القواعد الأربع السّابقة" (صحراوي 2005، ص34)، وفي خرقها تشتغل الفاعليّات العقليّة للمُخاطَب منْ أجل الوصول إلى المعنى القضويّ، ومنْ هذا المُعطى فإنَّ أيّ خطابٍ يهدف إلى

تحقيق غاية الإقناع والتّأثير والاستمالة، ولا يتأتّى إلاَّ تظافرت داخله عدّة شروط، ومنها القوّة الحجاجيّة.

2.1. الحجاج في اللّغة:

1.2.1. ماهيته: لا بدّ لنا بدايّة أن نقدّم إلماحة لغويّة عن أصل كلمة الحجاج، فقد ورد في معجم لسان العرب في مادّة "حجج" قال الأزهريّ: والحجَّةُ البُرهانُ؛ وقِيلَ الحُجَّةُ ما دُوفِعَ بهِ الخَصمُ؛ وقالَ الأزهريُّ: الحُجَّةُ الوجهُ الذي يكونُ بهِ الظَّفرُ عندَ الخُصُومَةِ " (ابن منظور،) وهناك منْ يرى أنَّ البرهانَ أقوى في التّدليل من الحجَّةِ؛ بحيث أنَّه يميل إلى اليقينيّة، فلا مكان للجدل بحضور البرهان لقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدخُلَ ٱلجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَو نَصَٰرَىٰ تِلكَ أَمَانِيُّهُم قُل هَاتُواْ بُرهَٰنَكُم إِن كُنتُم صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: 111] ويستعمل البرهان في مجال الرّياضيّات؛ ومردُّ ذلك أنَّه غير قابل للتّشكيك؛ بل ثابت ويقيني عكس الحجّة.

إنَّ المنطلق الذي تنطلق منه النّظريّات الحجاجيّة؛ أنَّه فعاليّة لغويّة تروم إلى التّأثير، واستمالة المتلقّي ولعلّ مفهوم الحجاج في الدّراسات الحديثة ينصبُّ حول تقديم الحجج والأدلَّةِ التي تؤدّي إلى نتيجة محدّدة وهو يتمثّلُ في إنشاء تسلسلاتٍ استنتاجيَّةٍ داخل الخطاب، وبعبارة أوضح؛ يتمثّلُ الحجاجُ في إنجازِ متواليَّاتٍ قوليّةٍ، البعض منها بمثابة الحُججِ اللُّغويَّةِ، والبعض الآخر بمنزلةِ النَّتائجِ التي تستنتج منها (إسماعيليّ، 2010، ص56)، ولربط هذه الحجج اللّغويّة تتظافر مجموعة من الرّوابط، والعوامل الحجاجيّة لتقود إلى النتيجة.

وعليه فإنَّ نظريّة الحجاج في اللّغة في مضمونها تتناقض مع كثير من النّظريات والتّمثّلات الحجاجيّة الكلاسيكيّة التي ترى أنّ الحجاجَ ينتمي إلى البلاغة الأرسطيّة، أو البلاغة الجديدة (بيرلمان، أولبريخت تيتيكا، ميشال مييير ..)، أو ينتمي إلى المنطق الطّبيعيّ الذي تحدّث عنه (جان بليز غريز..)

(العزاوي 2006، ص14)، فالملاحظ أنَّ هذه النّظريّة ركّزتْ على الحجاج في رحاب اللّغة، ونفتْ كلّ ما هو خارج عن بنيتها؛ بينما الفضل في تأسيس هذه النّظريّة اللّسانيّ الفِرنسيُّ "أزفالد ديكرو" (O. Ducrot)، وتتأسّسُ هذه النّظريّة منَ الفكرة التي شاعتْ عنها ومفادها: إنّنا نتكلَّمُ قاصدين التَّأثيرَ، وهي تحاولُ تبيانَ؛ أنَّ اللُّغةَ تنطوي على وظيفةٍ حجاجيَّةٍ بشكلٍ ذاتيَّ وجوهريٍّ (العزاوي 2006، ص8) ومن هذا يتّضح لنا أنَّ أيّ نشاط لغويّ نقوم به؛ يحمل في طياته حمولة حجاجيّة مهما كان الموضوع المطروق، وتعدُّ هذه النّظريّة من بين المقاربات اللّسانيّة التي درستْ الحجاجَ من منظورٍ قوليٍّ تداوليٍّ؛ إذْ تناولتْ العبارة اللّسانيّةَ، وبحثتْ في الوظيفة الحجاجيّة التي تؤدّيهَا وتمفصلاتها القوليّة وأعطتْ للوصفِ الدّلاليِّ؛ وأطلق عليها تسميّةَ التَّداوليّاتِ المُدمجةِ (طروس 2005، ص94)، ولعلَّ أبرزَ من شاعَ في هذا المجال، كما أسلفنا ذكرًا اللّغويّ الفرنسيّ ديكرو وأيضا الباحث وأنسكومبر (J. C ANSCIMBRE).

2.2.1. التّوجيه الحجاجيّ: ما دمنا نركّزُ على الحجاج في اللّغة، فإنَّ هناك آليّات لغويّة؛ تساعد في توجيه الحجج على مستوى السّلَّمِ الحجاجيِّ الذي تكلّمَ عنه ديكرو؛ حيث إنَّ مفهوم الوجهيّة أو الاتّجاه الحجاجيّ (L'orientation argumentative). الذي يعني؛ أنَّهُ إذا كانَ قول ما يُمكن إنجاز فعل حجاجيّ، فإنَّ القيمة الحجاجيّة لهذا القول تتحدّدُ بواسطة الاتّجاه الحجاجيِّ، وقد يكون هذَا الأخير إمَّا صريحا أو مضمرًا، فإنْ كان القول أو الخطاب معلمًا (marqué). أي: يشتملُ على بعضٍ من الرّوابطِ والعواملِ الحجاجيّةِ، فإنَّ هذه الأدوات والرّوابطِ تتضمّنُ مجموعة من الإشارات والتّعليمات التي ترتبطُ بالطّريقةِ التي على أساسها يوجّهُ بها القول أو الخطابِ. وبخلافِ ذلك، فإذا كانَ القول غير معلّم فإنَّ التَّعليمات التي تُحدّدُ الاتّجاهَ الحجاجيّ؛ يمكنُ استنتاجها انطلاقا منَ الألفاظِ والمفرداتِ، إضافة إلى ذلك

السِّيَّاق التَّداوُليُّ والخِطابيُّ العام (العزاوي 2006، ص25)، فإذَا كانتْ نظريّة المحادثة عند غرايس؛ تهتمُ بقواعد إنتاج الملفوظات أو الخطابات وفقا لمبدأ عام، وهو التّعاون، والأصل أنَّ تلك الأقوال هي حجج، لأنَّ أيّ نشاط لغويٍّ يهدفُ إلى التَّأثيرِ؛ النّهج الذي قامت عليه نظريّة الحجاج في اللّغة عند ديكرو وأنسكومبر، ومنه فإنَّ تلك الملفوظات تكون ملتزمة بشروط معيّنة قد قرّرها غرايس كي تكون فعالة في الاستمالة والتّأثير على المُخَاطَبِ المشارك، أثناء عمليّة التَّحاججِ، وهنا يظهر دور الآليّات اللّغويّة في توجيه الحججِ إلى الوجهة التي يقتضيها القصد؛ للوصول إلى النّتيجة المرجوّة؛ "أي أنَّ الموجِّهاتِ الحجاجيّةِ هي التي تُحدِّدُ قوَّة وفعاليَّةَ الاحتجاجِ التي تحملُ المتلقِّي على قبول الحُجَّةِ سواء من خلالِ تنظيمِ الحُججِ أم ترتيبها أم طريقةِ عرضها أم تنويعها وفق ما يراهُ الخطيبُ مناسبا لطبيعةِ المتلقِّي ومتوافقا مع المقامِ الذي يحكمُ القولَ أو الخطابَ" (هامل، 2018، ص7–24) وبعد كلّ هذه الآراء يتّضحُ لنا المنظور الحجاجيّ يرتبط بشكل كبير مع المنظور الاستلزاميّ المُحادثيّ؛ ليُشكِّلاَ قوّة للخطابِ، ويزيدان من فاعليّة تأثيرهِ ووضوح معانيه ومقاصدهِ.

3.2.1. علاقة الاستلزام التّخاطبيّ بالقوّة الحجاجيّة: لا مناصَ من التّأكيدِ على العلاقةِ الوثيقةِ التي تربطُ الآليّات التّداوليّةِ فيما بينها، ويظهر هذا أثناء تحليلِ الخطاباتِ، وتتنوّع النظريّات الحجاجيّة تبعا للعلاقة التي تربط بينهُ وبينَ التَّداوليَّةِ؛ بحيثُ نجدْ ثلاثَةَ اتِّجاهاتٍ رئيسةٍ تدرس الحجاج في البُحوثِ التَّداوليَّةِ: الأوّل منطقيٌّ، والثّانيّ لسانيٌّ، أمّا الثّالث مُحادثيٌّ حواريٌّ (الحباشة ص38)، ونرى بأنَّ تداخلَ هذه الاتِّجاهاتِ، تأكيد على التّرابط الحاصل داخل الخطاب الحجاجيِّ، فقوّة الحجّةِ تُؤسِّسها اللّغة بآليّاتها، وتفسيرها دلالتها يأتي عبر معناها الصّريح أو الاستلزامي؛ وفق نظام منطقيٍّ مودع في أذهان قطبي الخطاب أثناء عمليّة التَّخاطُبِ، وفيما يرتبط بحجاجيّةِ الاستلزامِ الحواريِّ الذي

يحتوي على معانٍ غير طبيعيّة ضمنيّة؛ إذْ يمكنُ ربط الاستلزام بالحجاجِ من منطلق الإشارة إلى ما تمَّ طرحه من قبل طه عبد الرّحمن في تصوّرِهِ الذي يجعلُ فيه المفاهيم الآتيّة (الخطاب، والحجاج والمجاز) مترابطةً (الجياشي ظافر عبيس، 2018، ص274)، وفي هذا إثبات منه على التّقارب الوثيق بين الحجاج والاستلزام الحواريّ؛ إذْ يُقِرُّ أنَّ "حدَّ الحجاجِ أنَّهُ كلّ منطوقٍ به موجَّهٌ إلى الغير لإفهامهِ دعوى مخصوصة يحقُّ له الاعتراضَ عليها" (طه عبد الرحمن، 1998، ص226) وفي هذا فإنَّ الدّعوى والاعتراض أساسان يقوم عليهما الحجاج، والأمر ذاته ينبني عليه الخطاب "بمعنى أنَّ الذي يُحدِّدُ ماهيّة الخطاب إنَّما هو (العلاقة الاستدلاليّة) وليس العلاقة التّخاطبيّة وحدها: فلا خطاب بغير حجاج ولا مخاطِب (بكسر الطّاء) من عير أنْ تكونَ له وظيفةَ (المُدَّعي)، ولاَ مُخَاطَب (بفتح الطّاء) من غير أنْ تكونَ له وظيفةَ (المعترض)" (طه، 1998، ص226)، فإذا تأمّلنا العلاقة التّخاطبيّة؛ تظهر لنا المبادئ التي تقوم عليها نظريّة الاستلزام الحواريّ، بخاصّةٍ تلك العلاقة القائمةِ على مبدأ التّعاون بين المُخاطِب والمخَاطَب، ومنه فإنَّ الحمل على الاقتناع بالدّعوى؛ يستلزم بروز العلاقة الاستدلاليّة، والتي تُشيرُ إلى نظريّة الحجاج، وفي سياق ذي صلةٍ قد وصف الباحث طه عبد الرّحمن المتكلّم بالمُبلّغِ، وليسَ بالنّاقل في إطار ما أسماهُ بالتّبليغ "فالتّبليغ هو عبارة عن نقل فائدة القول الطّبيعيّ نقلاً يزدوج فيه الإظهارُ والإضمارُ" (طه، 1998 ص216) ومنْ هنا لا يظهر استعمال المعاني الصّريحة والحرفيّة فقط؛ بل يتجاوز المُبلغ إلى المعاني الضّمنيّة والمجازيّة والتي تقتضي تفعيل آليّة الاستلزام التّخاطبيّ من طرف المتلقيّ؛ بهدف تأويل المقصد، ومحاولة لفهم الحجج المعروضة عليه.

2-الاستلزامِ التّخاطبيِّ وإمكاناتهِ الحجاجيّةِ في الأجوبةِ المسكتةِ: جاء هذا المبحث موسوما بالاستلزام التّخاطبيّ وإمكاناته الحجاجيّة في الأجوبة المُسكتةِ؛

إذْ تمَّ نتناول فيهِ ثلاثةَ مطالبٍ، أمّا الأوّل: نحاولُ أنْ نقفَ فيهِ عندَ مفهومِ الأجوبةِ المُسكتةِ، ونمرُّ بعدَ ذلكَ إلى الثَّانيِّ لنكشفَ فيه عن تمظهر الاستلزام التّخاطبيّ في الأجوبةِ المسكتةِ، وفيهِ يتمُّ تطبيقَ هذه الآليّة على نموذجين من الأجوبة المُسكتةِ، وأمّا المطلب الثّالثُ: تناولنا فيه حجاجيّة الاستلزام التّخاطبيّ منْ خلال تبيانِ دورهِ في توجيهِ قصديّةِ الحُجَّةِ وزيادةِ فاعليّتِهَا ورأينا ذلك انطلاقًا منْ نموذجين.

1.2. مفهومُ الأجوبةِ المُسكتةِ: تعدُّ الأجوبةُ المُسكتةِ من الخطاباتِ التي تعمدُ إلى سرعةِ البديهةِ وحضورِ الذِّهنِ في المواقف الكلاميّةِ المختلفةِ، وممّا لا شكَّ فيه أنَّ العربَ قدْ اشتهرت بهذا الضّربِ منَ الخطاباتِ، ولعلَّ بعض المدوّنات التّراثيّة، قد قدمتْ لنا مائدة شهيّة عن أخبار العرب وطرائفهم، فمن منطلق أنَّ مثل هذه الأجوبة تقوم على الذّكاء، فإنّنا نفترض أنّها قائمة أساسا على معاني صريحة وأكثرها ضمنيّة تخرق قواعد الاستلزام الحواريّ.

إنَّ الأجوبةَ المُسكتةَ "هي أخبارٌ وأحاديثٌ ونوادرٌ معروضةٌ بشكل أجوبةٍ ذكيَّةٍ" (أبي عون، 1996، ص42)، ولعلّ أبرز من اهتم بهذا الفنّ الجاحظ في كتابه البيان والتّبيين حينما ضمّنه في مؤلَّفهِ، وأيضا ابن أبي عون الذي كان له الفضل في التّطرّق إلى هذا الموضوع باستفاضة؛ بخاصّة في مؤلّفه الموسوم بالأجوبة المسكتة؛ إذْ يقول في مقدمة كتابه هذا "ولعمري لقد استحسنت ما يفضّل به أهل البلاغة ويسبق إلى سرعة البديهة به أهل الذّكاء والفطنة وقرب المأخذ في الاحتجاج على الخصم وإيقاع الجواب على المبتدئ بالسّؤال وإفحام المشاغب عن معارضه بالحجاج" (أبي عون، 1996، ص3)، وحريٌّ بنا في سياق حديثنا عن ماهيّة الأجوبة المسكتة أن نتبيّنَ الميزات التي تتّصف بها إذْ قال الحمويُّ في هذا الصّدد "بأنّها المراجعة وهي: أنْ يحكي المتكلّمُ مراجعةً في القولِ ومحاورةً في الحديثِ بينه وبين غيره بأوجزِ عبارةٍ وأرشقِ سبكٍ وألطفِ

معنى وأسهلِ لفظٍ" (الحموي، 2004، ص218)، ونلاحظُ جليًّا منْ هذا التَّعريف بأنَّ الجوابات ترتكزُ أساسًا على الإيجازِ والدِّقةِ في إيرادِ المطلوبِ والمقصودِ كما يستوجب توفّر عنصرينِ يجري بينهما هذا النّوع من الخطابات وهذا أمر طبيعيّ، ولاَ مناصَ منَ القولِ إنَّ هذا الفنّ يتّخذُ منَ البلاغةِ سبيلاً واضحًا للاحتجاج والتّأثير، فهي "ميدانٌ لاَ يُقطعُ إلاَّ بسوابقِ الأذهانِ ولاَ يُسلكُ إلاَّ ببصائرِ البيانِ. فلانٌ يعبثُ بالكلامِ ويقودهُ بألينِ زمامٍ" (الملك،)، والعرب كانت تتّصف بهذه الصّفات، ويظهر ذلك من خلال ارتجالهم للأشعار، وفي إفخامهم للخصوم، وردّ أباطيلهم ونخلص إلى أنَّ "الجواب المُسكت قولٌ بليغٌ مُرتجل يعتمدُ على المُشافهةِ، يُقصدُ بهِ تصحيح الكلام، أو إثبات حق، أو دفع شبه معَ الإصابةِ والسُّرعةِ في الإجابةِ" (فاعور، 2014، ص133-139) وتجدر الإشارة أنَّه غالبا ما يأتي على صفتي الإيجازِ والطّرافة.

2.2. تمظهرُ الاستلزامِ التّخاطبيِّ في الأجوبةِ المسكتةِ: لعلّ الجواب المسكت خطاب حجاجيّ بامتياز؛ إذْ إنّهُ يتشكّلُ من معانٍ صريحةٍ، وأخرى ضمنيّة؛ تستلزم من المتلقيّ له؛ أنْ يقوم باستنتاجات عقليّة قصد تأويله، ومن النّماذج التي نسُوقها في هذا المقام حيث يبدأ الجواب هنا بتمهيد يؤسّسُ للقضيّةِ، ويُظهرُ فيها الأطراف المتحاورة، وملامح شخصيّات الحوار.

-**الشّاهد الأوّل:** "دخل أبو العالية على ابن عبّاس رضيّ الله عنهما، فأقعدهُ معه على السّرير، وأقعدَ رجالاً منْ قريشٍ تحته، فرأى سوء نظرهم إليه وحموضةَ وجوههم، فقال: ما لكم تنظرون إليَّ نظرَ الشَّحيحِ إلى الغريمِ المُفلِسِ" (الأبشيهيّ، شهاب الدّين بن محمّد بن أحمد، 2008، ص39).

ففيه تأكيد على علوّ مقام أهل العلم والحكمة وسؤددهم بين النّاس، وهو ما لا يحصل لمن يفتقر للعلمِ والحكمةِ، ولأنّ جملة (أقعده معه على السّرير، وأقعد رجالاً من قريشٍ تحته) تفسير لقضيّةِ علوّ مقام العلماء الحكماء.

وقد وردَ أيضا هنا الأطراف التي جرى بينهم الحوار، فكانَ المُخاطِبُ (أبو العالية) والطّرف المستمع هم (رجال من قريش)، وورد أيضا صفة الرّجال المعنيين بالإبلاغ؛ أي إنّهم (سوء نظرهم، حموضة في وجوههم، لهم نظر الشّحيح)، فجواب أبو العالية كان مُفحمًا، وإقامة لحجّة عليهم؛ كونهم وُضعاء وقلوبهم مريضة.

وفي جواب أبي العالية خرق للحوار من ثلاث نواحي:

أ ــ من ناحيّة الكمّيَّةِ: فأبو العالية جعل قوله يتجاوز المطلوب، فلم يقلْ بقدر وجيز، فالطّرف المُحَاوَرُ عندما توجَّهَ المُخاطِبُ لهم؛ كان ينتظر قولا موجزا على سبيل المثال: (ما لكم تنظرون إليّ؟)، فإذْ به يتجاوز المقدار؛ حيث قال لهم: (ما لكم تنظرون إليّ نظرَ الشّحيحِ إلى الغريمِ المُفلسِ)، فكان عليه أنْ يسألهم عن سببِ نظرهم إليهِ من دونِ إضافةٍ، وهذا خرق لمبدأِ الكمِّ، وتجدرُ الإشارة بحسب مبدأ التّأدُّبِ الأقصى الذي تكلّم عنه الباحث (ليتش)، ففي النّص هناك اختراق لقاعدة الاستحسان التي تنصُّ على المقولة الآتيّة (قلِّلْ ذمَّ الغيرِ)، وفي الخطاب المذكور ذمٌّ كما يتجلّى في قول ابن العالية (سوء نظرهم إليه، وحموضة وجوههم، فقال: ما لكم تنظرون إليَّ نظرَ الشَّحيحِ إلى الغريمِ المُفلسِ).

ب ــ منْ ناحيَّةِ النَّوعيَّةِ: وقد لاحظنا هناك اختراق لقاعدة الكيفيّة، والسّبب حسب الشّاهد؛ يرجع إلى الملل والتّذمُّرِ من هؤلاء الرّجال، فقد قال: أبو عالية فيهم قولاً؛ من غير تأكّد، ولا دليل له؛ على أنّهم مثل الشّحيح؛ أي البخيل والذي ينظر المفلس المقتضى بدينٍ.

"إنّ المعنى المُستلزم ليسَ جزءًا منْ المعنى الوضعيّ للّفظِ، وإنَّما يدلُّ عليهِ اللَّفظُ منْ خلالِ سياقهِ" (السيوطي، 2020، ص48) ومنه، فإذا أسقطنا هذا على الشّاهد فإنَّ القول التّالي: (ما لكم تنظرون إليّ نظرَ الشّحيحِ ..)، فالمعنى

المستلزم يدلُّ عليه اللّفظ منْ خلالِ سياقهِ، ويتمثّلُ في القدح وتحقيرِ هؤلاء القرشيين، ثمَّ إنّهم في منزلةِ المُخَاطَبِينَ، ولا جرمَ أنّهم فهموا هذا المعنى المستلزم الذي قاله أبو العالية، وهو الذي افترضَ بأنّهم فهموا قصده، فكانَ التّأثير بادٍ فيهم، وهذا ما ينشدهُ الخطاب الحجاجيّ.

ج ـ منْ ناحيّةِ الملائمةِ: تمَّ أيضا خرق قاعدة الملائمة، فكلامه يتضمّن ما لا علاقة له بالموضوع على النَّحو الذي وصفهم بأوصاف مهينة من دون أن يتكلَّموا بكلمة واحدة. أمّا إذا كان تأويله لتلك النّظرات أنَّ سببها استعلاؤه فهذا يؤكِّدُ أنَّه قد تعمَّد الخرق.

الشَّاهد الثّانيّ: "ذبحتْ عائشة رضيَّ اللهُ عنها شاةً، وتصدَّقتْ بهَا وأفضلتْ منها كتفًا، فقالَ لها النَّبيُّ ـ صلىّ اللهُ عليهِ وسلَّمَ ـ (ما عندكِ منها) فقالتْ: ما بقيَّ منها إلاَّ كتفٌ، فقالَ: (كلُّها بقيَ إلاَّ كتفًا)" (الأبشيهيّ، شهاب الدّين بن محمّد بن أحمد، 2008، ص93).

ففي الجواب إقرار على أنّه ما ضاع مال من صدقة مصداقا لقول النّبيّ الكريم، وما تتصدقون، فهو في سجلٍّ حسناتكم، وهي الحقيقة التي أبرزتْ في الحوار الذي جرى بينه، وبين عائشة رضيّ اللهُ عنها.

إنَّ الحجَّةَ التي قدّمها الرّسول ـ صلّى الله عليه وسلّمَ ـ لعائشة، تقوم مقام الجواب المُسكتِ عن قضيّةِ التّصدق وفضله، حيث يقوم منطقها على قيمة مفادها: "تأكيد الحجَّةِ من خلالِ آليَّةِ **التّناقض والتَّضاد** الذي من شأنهِ أنْ يُبرزَ النَّقيضَ، ويُجليهِ" (المقراني، 2020، ص97)، فكما يقال إنّما تُفقه الأمورِ بأضدادها، فإتيانُ (الباث) بحجّةٍ قائمة على التّناقض والتّضاد فيها؛ طاقة حجاجيّة كبيرة على إقناع المُخاطَبِ، وحملهِ إلى التّسليم، بل وتوجيهِ ذهنه إلى الوجهة الحجاجيّة المقصودة، فعائشة تصدّقتْ بكلّ الشّاة، ولم تبقِ منها إلاّ جزءا، في إشارة منها إلى أنَّ حظّها منها قليل، فكان جواب المصطفى على

صلوات ربّي وتسليماته، مغايرا ومضادًّا لما طرحتْ؛ فقال لها: (كلّها بقي إلاّ جزءًا)؛ إقرار منه بالدّليلِ على أنّها كلّها في ميزان الحسنات إلاّ جزءًا وهو الذي لا ينطق عن هوى، وفي الشّاهد خرق للحوار من ناحيّةِ المناسبة؛ وينزل جواب الرّسول عليه الصّلاة والسّلام؛ منزلة **الأسلوب الحكيم**(ـ الأسلوب الحكيم: تلقّي المُخاطب بغير ما يترقّب بحمل كلامهِ على خلاف مراده تنبيها على أنّه الأولى بالقصد، أو السّائل بغير ما يتطلّب بتنزيل سؤالهِ منزلة غيرهِ، تنبيها على أنّه الأولى بحاله" (ينظر: بغية الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، ص94/2)؛ بحيث أنّه قدّم لها حجّة لم تكن أمّ المؤمنين تنتظرها، وهي كناية عن الحسنات الكثيرة التي فازتْ بها من هذه الصّدقة، فالجواب المُتوقَّع منها هو (ستنالين الأجر).

لكن بإجابته، قد خرقَ قاعدة المناسبة، والمعنى المستلزم جاء على شكل كناية، وتأويلها سيكون منْ ما دلَّ عليه اللّفظ من خلال سياقهِ.

3.2. حجاجيَّةُ الاستلزامِ التَّخاطـبيِّ ودورهُ في وضوحِ قصديَّةِ الحجَّةِ: إنَّ فهمَ الخطابات، والوصولِ إلى مقاصد المتكلِّمينَ؛ بغيةً ينشدُها التّداوليون ولا يتمُّ ذلك إلاَّ عبر السِّياقِ، ويظهر جهدهم هنا في "دراسةِ الوسائلِ اللِّسانيَّةِ على اختلافها والتي يملكها المُخَاطِبُ بهدفِ إبلاغِ فعلِ الكلامِ الذي يتحقَّقُ بشكلٍ مباشر (وواضحٍ)، أو بشكلٍ غير مباشرٍ (وضمنيٍّ)، من منطلقِ تأويلِ فعلِ التّكلُّمِ، أي المعرفة المناسبة من قبلِ القائم بالتّأويلِ على قصدِ المتكلّم المتعلّق بحضور العلامات اللّسانيَّةِ، أو بواسطةِ سياقِ القولِ (عشير،2006، ص99) وما دامَ أنَّ عمليّة التّبليغِ؛ تستدعي دراسةَ الآليّات اللّسانيّةِ، فهناكَ أيضا مبادئًا يجبْ أنْ تقومَ عليها عمليّة التّخاطب، والتي سنَّها غرايس، حيث تجعلُ منَ الخطاب مؤسّسا، وواضحةً مقاصده وغايته، وإذا اعتبرنا تلك الأقوال التي تجري بين متحاورين أثناء التّخاطبِ؛ حجّة والأصل أنَّ "الحجّةَ عنصر دلاليّ متضمِّن

في القولِ، يقدّمه المتكلّم على أنّه يخدم ويؤدي إلى عنصر دلالي آخر، والذي يُصيِّرها حجّة، أو يمنحها طبيعتها الحجاجيّة هو السّياق قد لا يكون كذلك في سياق آخر، حتّى ولو تعلّق الأمر بنفس المحتوى القضويّ، أو بنفس الحدث (**fait**) المُعبَّر عنه داخل القول" (العزاوي، 2006 ص127) إذن؛ فالسّياق من يربط الآليّات التّداوليّة بخاصة الاستلزام التّخاطبيّ والحجاج، ومنْ خلال الشّواهد سنتبيّن دور الأوّل في وضوح قصديّة الحجّة. **الشّاهدُ الأوّلُ:** "قال أبو الحسن المدائنيّ: دخل عمران بن حطّان يوماً على امرأته، وكان قبيحاً دميماً قصيراً، وقد تزيّنت، وكانت حسناء، فلم يتمالك أن أدام النّظر إليها، فقالت: ما شأنك؟ قال: لقد أصبحت والله جميلةً، فقالت: أبشر، فإنّي وإيّاك في الجنة؛ قال: ومن أين علمت؟ قالت: لأنّك أعطيت مثلي فشكرت وابتليت بمثلك فصبرت، والصّابر والشّاكر في الجنّةِ." (الجوزيّ، 1997 ص144) فجوابها يدلُّ على ذكائها، وسرعة بديهتها، فقد استخدمت حججًا بشكل تصاعديّ من الأضعف إلى الأقوى، بحيث قدّمتْ النّتيجة أوّلاً، وبناءً عليها أقامت حججها وممّا لا شكَّ فيهِ؛ أنَّه قد كانَ للاستلزامِ التّخاطبيّ حضور في هذا التّخاطبِ فخرق بعض المسلّمات الحواريّة كان لفائدةٍ، إذْ شكَّلَ آليّةً واضحة من آليّاتِ زوجة عمران بن حطّان في حجاجها، وهو ممثّل في الشّكل(1).

(ن)	(**فإنّي** وإيّاك في الجنّةِ)
(رابط حجاجي الواو/ الفاء) ح3	والصّابروالشّاكر في الجنّة
(عامل حجاجي إنّي/ لأنَّ) ح2	وابتليت بمثلك **فـ**صبرت
ح1	**لأنَّك** أُعطيت مثلي **فـ**شكرت

ففي هذا الجواب المُسكت؛ قد خُرِقتْ ثلاث قواعد حواريّة:

أ ـ قاعدة الكيفيّة: فالملاحظ أنَّ زوجة عمران بن حطّان، قد قالت خبرًا (إنّي وإيّاك في الجنةِ) يراه العاقلون كذبًا، فلا بيّنةَ لها فيه، ولاَ دليلُ، ولأنَّ العبرة بالخواتيم، والعبد لا يمكنه أن يجزم بدخول الجنّةِ.

ب ـ قاعدة المناسبة: فالملاحظ أنّ الزوجة بعد تودّد زوجها لها بقوله (أصبحت جميلة)؛ قالت قولاً لا يتناسبُ مع مقام الحديثِ؛ أي (إبشرْ فإنّي وإيّاك في الجنّةِ)، فالمعنى الذي انتظره الرّجل أنْ تبادله نفس الكلام العاطفيّ وبهذا قد خرقت القاعدة الحواريّة بقصدٍ سيتجلّى من خلال النتيجة الأخيرة التي تروم للوصول إليها.

ج ـ قاعدة وجه الخبر: لُوحِظ لُبسٌ في كلام المرأةِ من خلالِ قولها (ابشر فإني وإيّاك في الجنّة) بينما الموقف لا يشيرُ إلى ذلك، وأيضًا لا يوجد ترتيب في كلامها، فهي سبقتْ النتيجة (دخولهما الجنّة) بعدها قدّمتْ له الدّليل على ذلك؛ وهذا الخرق مقصود كي تشغل ذهن زوجها، وتُؤثر فيه بما ستقوله.

زيادة على ذلك فقد تمَّ خرق مبدأ التّأدُّبِ الأقصى الذي جاء به "ليتش" ويظهر في أنَّ الزوجة بقولها عن زوجها (ابتليت بمثلك فصبرت) لم تكن مؤدَّبةً، وهذا خرق مقصود، ويؤوّل بحالة التّذمُّرِ في نظرةِ الزّوجةِ لزوجها.

لقد أسهم الخرق على مستوى هذه القواعد الحواريّة، في زيادة وضوح قصديّة الحجج، وتقويتها، ومن جهة أخرى فإنَّ بعض الرّوابط والعوامل الحجاجيّة أسهمت في ربط الحجج، وتوجيهِ قصديتها (كالواو، الفاء)، وعامل حجاجيّ دلَّ على تأكيد الحجّة (كإني وإيّاك..)، وعامل آخر دلّ على التّبرير في قولها (لأنّك ..)؛ كما هو موضّح في الشّكل (1).

الشّاهدُ الثّانيُ: "وقال ملكٌ لوزيره: ما خير ما يرزقه العبد؟ فقال: عقل يعيش به. قال: فإنْ عدمه؟ قال: فأدب يتحلّى به. قال: فإنْ عدمه؟ قال: فمال يستره. قال: فإنْ عدمه؟ قال: فصاعقة تحرقه، وتريح البلاد والعباد منه. (الأبشيهيّ

شهاب الدّين بن محمّد بن أحمد، 2008، ص93)، وفي هذا الجواب؛ أرادَ الملكُ أنْ يُشْكِلَ على وزيرِهِ، بعد أنْ قدَّمَ له أجوبةً قيِّمةً لأسئلته فما كانَ منه إلاَّ أنْ يقصفه في الحجّة الأخيرةِ، وقد تمظهرتْ البنية الحجاجيّة؛ بإيراد الحجج من قبلِ الوزير بشكل تصاعديٍّ، مراعيًا في ذلك قوتها وفاعليتها في التّأثير والإفحامِ، وجاءت بالشّكل الآتي:

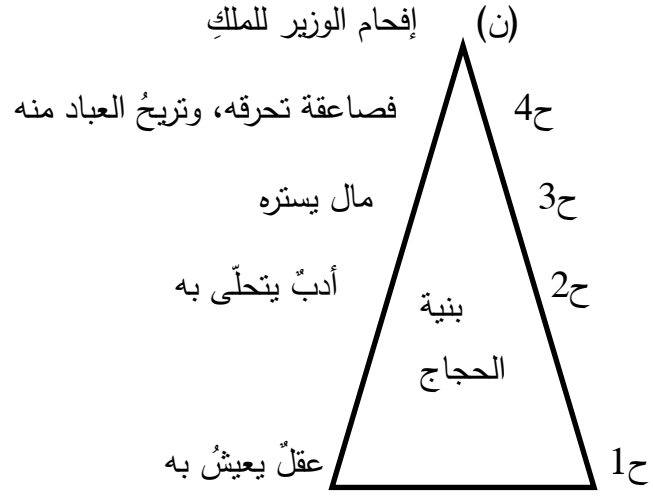

فالحجج (1) و (2) و (3) و (4) كلّها تخدم نتيجة واحدة؛ ألا وهي "إفحام الملك وإسكاته" والملاحظ أنَّ الرّوابط اللّغويّة (الواو، الفاء)؛ أدّتْ زادت من قوّة الحجّة، ومنْ إمكاناتِ فاعليتها، منْ خلال توجيهِ قصديّتها، والأمر ذاته بالنّسبة لبعض العوامل الحجاجيّة الموظّفة في الأجوبة في صورة (ما الاستفهاميّة) و(إنْ الشّرطيّة).

وللاستلزام التّخاطبيّ حضور في هذه البنيّة الحجاجيّة للجواب المُسكتِ؛ إذْ أسهمَ خرق القواعد الحواريّة في زيادة وضوح قصديّة الحجّة، وإذكاء تأثيراتها على المتلقّي، والخرق مسَّ قواعد معيّنة وهي:

أ ـ على مستوى الكميّة: لوحظ خرق لهذه القاعدة، ويتمظهرُ ذلك في جعلِ الوزيرِ إفادته للملكِ تتعدّى القدر المطلوب؛ بحيث كان منَ المستحسن أنْ يُجيزَ

حججه مراعاة لمقام الملكِ كأنْ يقول: (أنْ يرزقَ العقل، الأدب، المال)، ولا يزيد عنهم، ونرى بأنّه تجاوز ذلك إلى التهكّم على الملك بقوله: (فصاعقة تحرقه وتريحُ العباد منه).

ب ـ على مستوى المناسبة: لوحظ خرقه في الجواب المُسكت، وأمارة ذلك أنَّ الحجج الثّلاث ليست بمنزلة الحجّة الأخيرة، وفيها الوزير لم يراع مقام الملك، عندما تجاوز حديثه المُؤدّب إلى نقيضه؛ حينما قال: (فصاعقة تحرقه وتريح العباد منه)، وهذا الخرق يدخل في المبدأ الذي تكلّم عليه ليتش؛ أي مبدأ التّأدُّبِ الأقصى. فأحيانا يتعمّد المُخَاطِبُ الخرق؛ لأنّه ذا بعدٍ حجاجيٍّ كبير؛ إذْ به تزيدُ فاعليّةً وقصديّةً.

ويتّضح لنا بعد هذا أنَّ "الكلام ينطوي على معنى أوّليّ ومباشر بقوّته الإنجازيّة الحرفيّة، ويتحوّل أثناء خرق إحدى القواعد التّخاطبيّة إلى معنى آخر غير مباشر يكتسب قوّة إنجازيّة مستلزمة وهو المعنى المقصود، ولا يصل إليهِ المُخاطَب إلاّ بالاستدلالِ الذي يبدأ بافتراضات المُخاطَب فيما يخصُّ مقاصد المُخَاطِب" (سالمي، 2021، ص33-64)، وعليه فإنَّ الآليّات التّداوليّة تتظافر فيما بينها للوصول إلى تأويل مقاصد المتخاطبين.

3. خاتمة: نخلص ختاما؛ أنَّ ورقتنا البحثيّة الموسومة "بالاستلزام التّخاطبيّ وإمكاناته الحجاجيّة في الأجوبة المُسكتةِ" قد أفضتْ بنا إلى جملةٍ من النّتائجِ؛ نُجملها كالآتي:

ـ يعدُّ الاستلزام التّخاطبيّ آليّة مهمّة تتجسّد داخل أي خطاب، ويظهر دورها في تلك العلاقة التّعاونيّةِ القائمة بين قطبي الخطاب؛

ـ يتأسَّسُ الاستلزام التّخاطبي على قواعد أربع؛ قد قدّمها الباحث "بول غرايس" وكلّها تنضوي تحتَ مبدأ عامٍّ يسمّى "مبدأ التّعاون"، وهذه شروط لازمة

لقيام أيّ عملية تحادثيّة، وهناك منَ الباحثين منْ زادوا شروطًا أخرى؛ يجب توفّرها عند التَّخاطُبِ؛

ـ إذا تكلّمنا عن الاستلزام التّخاطبيّ، فنحن نشيرُ إلى آليّة تتجسَّدُ أثناء الحوار، وهذا الأخير يستدعي الحجاج، منْ خلال عمليّة الاستدلال على القضايا المطروحة؛

ـ إنَّ الحجاجَ يظهر تلقائيًّا بمجرَّدِ القيام بالعمليّة التّخاطبيّة، ومنه فأيّ أداء كلامي مهما كان شكله يحمل في ثناياه حمولة حجاجيّة؛ هادفة للتّأثير في المُتلقّيّ؛

ـ يمكن الجزم بأنَّ احترام القواعد الحواريّة المعروفة، يُسهم في وضوح حججِ الخطاب، ونفاذها إلى عقلِ المتلقّيِّ؛

ـ إنّ التوجيهَ الحجاجيّ؛ يتمُّ بواسطة الرّوابط والعوامل الحجاجيّة المتعارف عليها؛ لذلك فهي تؤسِّس القوّة الحجاجيَّةِ، والتّحكُّمِ في اتِّجاهاتِ قصديتها؛

ـ أنَّ الأجوبة المسكتةَ خطاب مشبع بحمولة حجاجيّة، بحيث أنّه الميدان الخصب الذي تُطبَّق عليهِ الآليّاتِ التّداوليّةِ؛ إذْ أنَّ الإفحام والقصف والإسكات مفاهيم؛ يروم تحقيقها في كل عمليّة تخاطبيّة يقوم إليها الباث.

ـ لعلّ حجاجيّة الاستلزام التّخاطبيّ؛ تتمظهرُ في مراعاة المتخاطبين للقواعدِ التّخاطبيّةِ؛ كي يكون التّحاجُ واضحًا ومُؤَسَّسًا؛ بغية التّأثير والحمل إلى التّسليمِ بالقضيّة التي أُقِيمَ من أجلها التّخاطب؛

ـ إنَّ الاستلزام التّخاطبيّ؛ ينبني على معاني صريحة، وأخرى ضمنيّة مستلزمة، فالمُخَاطَب إذا صادفها يشغّل الفاعليّات الذهنيّة، ويقوم بعمليّة استدلال؛ ليقف على قصد المُخاطَبِ، وهنا يتّضح التّكامل بين هاتين الآليتينِ التَّداوليَّتينِ؛ بمعنى أنَّ إيضاح قصديّة حجج المُخاطِبِ، تظهر في تلك الاستدلالات التي يقوم بها المُخاطَبُ؛

ـ إنَّ وضوحَ قصديّة الحجّة؛ ينطلق أساسًا من التّعاون القائم بين المُتخاطبينَ، فأحيانا يكون خرق إحدى القواعد التّخاطبيّة ذا فاعليّة كبيرة في تأثير الحجج على المتلقّي بدعوة ذهنه إلى البحث عن المعنى المستلزم في دواليب القصدية.

4. المراجع:

_إسماعيل صلاح، (2007). نظريّة المعنى في فلسفة بول غرايس.

_الأبشيهيّ، شهاب الدّين بن محمّد بن أحمد. (2008). *المستطرف في كلّ فنّ مستظرف* (الإصدار ط 5). (تح: محمّد خير طعمه) بيروت، لبنان: دار المعارف.

_ابن أبي عون. (1996). *الأجوبة المُسكتةِ* (ط1). (تح: مي أحمد يوسف، المحرر) القاهرة، مصر، : غين الدّراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة.

_ابن الجوزيّ. (1997). أبي الفرج عبد الرّحمن بن علي، أخبار الظّرّاف والمتماجنينَ (بعناية: بسّام عبد الوهّاب الجابيّ) (ط 1). بيروت، لبنان: دار ابن حزم.

_ابن منظور. (بلا تاريخ). لسان العرب . (تح: عبد الله علي الكبير وآخرون)

_الثّعالبيّ، أبي منصور عبد الملك. (بلا تاريخ). سحر البلاغة وسرّ البراعة، (صحّحه: عبد السّلام الحوفيّ.

_الجرجاني، عبد القاهر. (1992). دلائل الإعجاز في علم المعاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمّد شاكر . ط3. القاهرة مصر: مطبعة المدني.

_الجياشيّ، ظافر عبيس. (2018). حجاجيّة الاستلزام الحواريّ في خطب الإمام حسن عليه السّلام" . مجلة تسليم، 3(2).

_الحباشة، صابر. (بلا تاريخ). التّداوليّة والحجاج، ص 17، اقتبسه أحمد علي عبد العزيز يوسف في مقاله " الاستلزام الحواريّ وطاقاته الحجاجيّة في حوار موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون (سورة الشّعراء 10 – 31)" .

_الحمويّ، تقيّ الدّين أبو بكر بن علي بن عبد الله. (2004). خزانة الأدب وغاية الأرب (الطبعة الأخيرة) (المجلد ج 1). (تح: عصام شقيو) بيروت، لبنان: دار ومكتبة الهلال.

_الدّين, عزيز، عز. (2021). ظاهرة الاستلزام الحواريّ في التّراث اللّغويّ العربيّ والدّرس اللّسانيّ الحديث (دراسة تأصيليّة). رسالة دكتوراه غير منشورة. الجزائر، باتنة، كليّة اللّغة والأدب العربيّ والفنون: جامعة الحاج لخضر.

_السّيوطيّ، عبد المؤمن. (2020). جماليّات الاستلزام الحواريّ في القرآن الكريم ـ دراسة أسلوبيّة تداوليّة ـ . رسالة دكتوراه غير منشورة. مصر، قسم اللّغة العربيّة، كليّة الآداب جامعة عين شمس.

_العزّاويّ، أبو بكر. (2006). اللّغة والحجاج (الإصدار ط1). العمدة في الطّبع الدّار البيضاء، المغرب.

_القبالي، إفهام عبد الحافظ. (2020). "الاستلزام الحواريّ في سورة يوسف – دراسة تداوليّة –"مجلة العلوم التّربويّة والدّراسات الإنسانيّة، 5(12)

_المتوكّل، أحمد. (2010). اللّسانيّات الوظيفيّة مدخل نظريّ. ط2. بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديدة المتّحدة.

_المقراني، إيهاب. (2020). آليّات الخطاب الحجاجيّ في الأجوبة المُسكتةِ ـ باب الجوابات الهزليّةِ بين النّص والنّسقِ ـ . مجلة كليّة الآداب جامعة بور سعيد(5).

_بلانشيه، فيليب. (2007). التّداوليّة من أوستين إلى غوفمان (الإصدار ط1). (تر: صابر الحباشة) اللاّذقيّة، سوريّة: دار الحوار للنّشر والتّوزيع.

_بوجادي، خليفة. (2009). في اللّسانيّات التّداوليّة مع محاولة تأصيليّة في الدّرس العربيّ القديم . ط1. العلمة، الجزائر: دار بيت الحكمة.

_ختّام، جواد. (2016). التّداوليَّة أصولها واتّجاهاتها، عمان، دار كنوز المعرفة ص99.

_سالمي، كريمة. (2021). القصد والاستدلال في نظريّة التّخاطب ل هـ. بول غرايس . مجلة اللّسانيّات، 28(1).

_سويرتي، محمّد. (2000). "اللّغة ودلالاتها تقريب تداوليّ للمصطلح البلاغي" (المجلد 28). الكويت: عالم الفكر المجلس الوطني للثّقافة والفنون والأدب.

_صحراوي، مسعود. (2005). التّداوليّة عند العلماء العرب (ط1). بيروت، لبنان: دار الطّليعة.

_صلاح، إسماعيل. (2005). النظريّة القصديّة في المعنى عند غرايس . حوليّات الآداب والعلوم الاجتماعيّة.

_طرّوس، محمّد. (2005). النّظريّة الحجاجيّة من خلال الدّراسات البلاغية والمنطقيّة واللّسانيّة (ط1). الدّار البيضاء المغرب دار الثّقافة.

_عبد الرحمن، طه. (1998). اللّسان والميزان أو التّكوثرُ العقليُّ (ط1). الدّار البيضاء المغرب: المركز الثّقافيّ العربيّ.

_عزيز، عز الدّين. (2020). " ظاهرة الاستلزام الحواريّ في التّراث البلاغيّ العربيّ "قانون الخبر عند السّكاكي انموذجا" ، مجلة علوم اللّغة العربيّة وآدابها، 13 (1).

_عشير، عبد السلام،. (2006). عندما نتواصل نغيّر مقاربة تداوليّة معرفيّة لآليّات التّواصل والحجاج .

_علوي، حافظ إسماعيليّ. (2010). الحجاج مفهومه ومجالاته (ط1). إربد، الأردن: طعالم الكتب الحديث1.

_فاعور، منيرة. (2014). بلاغة الأجوبة المسكتة أسلوب الحكيم أنموذجا . مجلة جامعة دمشق، 3(3.4).

_هامل، لخضر، حمر العين، خيرة. (2018). التّوجيه الحجاجيّ في لاميّة ابن الورديّ التّوجيه الإلزاميّ أنموذجا " . مجلة فصل الخطاب، 6(22).